مفهوم أصول الثقافة

١ - أصل الشيء:

أساسه الذي يقوم عليه، وما ينى عليه غيره، أو ما يتفرع عنه غيره[١].

٢ - الثقافة لغةً:

جاءت من مادة (ث ق ف)، يقال: ثَقِفَ الرجلُ الشيءَ ثَقْفاً وثِقافاً وثُقوفةً: حَذَقَه وتعلّمه.

فالجَذَر اللُّغوي لكلمة الثقافة يدور على عدة معان، منها: الفِطْنة والذكاء، وسرعة التعلم، والمهارة، ومعرفة ما يُحتاج إليه وضبطه وحسن القيام به[٢].

فنلاحظ هنا أن استعمال هذه المادة اللغوية يأتي على صورتين:

الصورة الأولى: استعمال مادي، ومنه: تثقيف الرماح: تسويتها وتقويمها.

الصورة الثانية: استعمال معنوي، ومنه: ثَقَّفَ الإنسانَ: أدَّبه وهذَّبه وعلَّمه.

٣ - الثقافة اصطلاحاً:

تعد الثقافة علماً جديداً، اختلفت حوله تعريفات العلماء والباحثين[٣]؛ وسبب هذا الاختلاف: تنوّعُ المشارب الفكرية والمنهجية، والمجالات العلمية والاختلاف العقدي لدى من تناول تعريف هذا المصطلح.

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (٢٠/١)، والتعريفات، للجرجاني (٤٥/١).

(٢) انظر جميع هذه المعاني في: لسان العرب، لابن منظور، والنهاية، لابن الأثير، مادة (ث ق ف).

(٣) بلغت تعريفات الثقافة نحوا من (١٦٤) تعريفا. انظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية (٥٨)، والثقافة والحضارة، فؤاد السعيد وآخرون (٩٥).

Scanned with CamScanner

ومن أقدم هذه التعريفات تعريف (إدوارد تايلور)[1] (Edward Burnett Tylor) حيث عرَّف الثقافة بأنها: «الكلُّ المعقد الذي يشتمل على: المعرفة، والعقيدة، والفن، والأخلاقيات، والقانون، والعادات، والقدرات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع»[2]، وسارت منظمة اليونسكو على هذا المنحى في تعريفها للثقافة[3].

والمُلاحَظ على هذا التعريف هو: «العموم» و«المساواة بين تأثير عناصر الثقافة دون بيان الأهم منها».

وحتى نتجنب هذا العموم – وتلك المساواة بين كل عناصر الثقافة في التأثير – في تعريفنا للثقافة الإسلامية؛ وجب أن نحدد مضمون ثقافتنا الإسلامية، ومنهجها؛ لكي تتمايز عن غيرها من الثقافات، فالثقافة تحمل مقومات الدين والمذهب المنسوبة إليه في مقوماتها، وعناصرها، وخصائصها. والعقيدة هي أهم عنصر في تحديد ثقافة مجتمع ما.

٤ – مفهوم الثقافة الإسلامية:

هي: جملة العقائد، والأحكام والتشريعات، والقيم والمبادئ، والآداب، والعلوم التي تُشكّل شخصية الفرد، وهُوِية الأُمّة، وفق أسس وضوابط الإسلام[4].

---

(١) إدوارد تايلور (١٨٣٢ – ١٩١٧م) انثروبولوجي إنجليزي، عمل بجامعة اكسفورد، انظر: الموسوعة العربية الميسرة (٩٢٠).

(٢) علم الاجتماع ومدارسه، د. مصطفى الخشاب (١٨٩).

(٣) حيث إن منظمة اليونسكو عرَّفتْ الثقافة بأنها: «جميع السمات الروحية والمادية والفكرية، والعاطفية التي تميز بها مجتمع بعينه، وهي تشمل الفنون، والآداب، وطرائق الحياة، والحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات». انظر: الوثائق الرئيسة لإعلان مكسكو بشأن الثقافة، مؤتمر اليونسكو بشأن الثقافة، مكسكو، ١٩٨٢م (٨).

(٤) انظر: الثقافة الإسلامية، أ. د. محمد باجابر وزميله (١٩) بتصرف يسير.

Scanned with CamScanner

- ونعني بـ «أصول الثقافة الإسلامية» في هذا المقرر ثلاثة أمور:

الأول: مصادر الثقافة الإسلامية، وخصائصها.

الثاني: أصول الإيمان الستة، ونواقض الإيمان، وأهم التحديات الثقافية.

الثالث: أصول التشريع الإسلامي، وتحته: مفهوم الشريعة، ومقاصدها، والعبادات وحِكَمَها.

***

المصطلحات المقاربة لمصطلح الثقافة

نحاول هنا بيان المصطلحات المتقاربة مع مصطلح الثقافة، والتي تتداخل معها أحيانا، لتوضيح الفروق الجوهرية بينها، ولنقف على تحديد كل مصطلح منها، ومن ذلك[1]:

١ – مصطلح الحضارة:

الحضارة لغة: هي الإقامة في الحضر، ومنه قول القُطامي:

وَمَنْ تَكُنِ الْحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ ❖ فأيَّ أناسٍ باديةٍ تَرَانَا[2].

فالمفهوم الأصيل لكلمة «الحضارة» في اللغة العربية: هو الإقامة الثابتة في المدن والقرى.

وقد كان المؤرخ الاجتماعي عبد الرحمن بن خلدون[3] صاحب سَبْق في البحث عن الحضارة وتعريفها، تبعاً لأحوال عصره وبيئته، لقد أبان أنها: ذلك النمط من الحياة

---

(١) للتوسع في ذلك انظر: الحضارة، الثقافة، المدنيّة، نصر محمد عارف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، والثقافة والحضارة، د. فؤاد السعيد وآخرون (٥٢).

(٢) ديوان القطامي، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، وأحمد مطلوب (٧٦).

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد، تونسي الأصل، ثم قاهري، مالكي المذهب، ويعرف بابن خلدون، ولد في غرة رمضان سنة ٧٣٢هـ، وتوفي في مصر عام ٨٠٨هـ، وتقلد وظائف عديدة آخرها القضاء، أهم كتبه: المقدمة انظر: الضوء اللامع، للسخاوي (١٤٥/٤)، الأعلام، للزركلي (٣٣٠/٣٠).

Scanned with CamScanner

المستقرة الذي يناقض البداوة، فينشئ القرى والأمصار، ويضفي على حياة أصحابه فنوناً منتظمة من العيش، والعمل، والاجتماع، والعلم، والصناعة، وإدارة شؤون الحياة، والحُكْم. وقد عبر عنها بدلالة واضحة قائلا: «الحضارة غاية العمران»[1].

الحضارة اصطلاحاً: هناك اتجاهان في تعريف الحضارة:

الاتجاه الأول: يقصر تعريف الحضارة على الجانب المادي، وبالتالي يعرفها بأنها: «مظاهر الرقي العلمي، والفني، والأدبي، والاجتماعي، في الحضَر»[2].

الاتجاه الثاني: يرى أن الحضارة تشمل الجوانب المعنوية والفكرية بالإضافة إلى الجانب المادي، وبالتالي قالوا: «الحضارة هي: الحصيلة الشاملة للمدنية وللثقافة؛ فهي مجموع الحياة في صورها وأنماطها المادية والمعنوية»[3].

وقد ذهب إلى هذا الاتجاه الثاني أغلب الذين كتبوا في تاريخ الحضارة[4].

٢ – مصطلح العلم: العلم قسمان:

أ) عِلْمٌ شرعي: «وهو العلم الواقع عن الكتاب، والسُنّة، وإجماع الأُمّة، والقياس على أحد هذه الأصول الثلاثة»[5].

---

(١) مقدمة ابن خلدون (٣٨).

(٢) وسطية الإسلام وأمته، عمر بهاء الدين الأميري (١٦).

(٣) مقومات الحضارة الإسلامية، د. سليمان حزين، ط: المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية، الأزهر (٢٨٣).

(٤) مثل: ول ديورانت، وغوستاف لوبون، وحسن إبراهيم مصطفى، ومصطفى السباعي.

(٥) العدة، لأبي يعلى (١/ ٨٢).

Scanned with CamScanner

ب) عِلْمٌ دنيوي : ومنه العلوم النظرية ، والعلوم التطبيقية ، ويلزمه البرهان والدليل ، وسبيل ذلك : التجربة ، والملاحظة ، والاستنتاج...إلخ.

قال ابن تيمية رحمه الله مبينا هذين القسمين : «العلم : إما نقل مصدَّقٌ عن معصوم ، وإما قول عليه دليل معلوم»[١].

«والعلم النافع هو ما جاء به الرسول ﷺ ، وقد يكون علم من غير الرسول ﷺ ولكن في أمور دنيوية ، مثل : الطب ، والحساب ، والفِلاحة ، والتجارة»[٢].

***

أهمية الثقافة الإسلامية

أهمية دراسة الثقافة الإسلامية بما لها من خصائص ومميزات ، تجعلها جديرة بالبحث والفهم العميق ، ولكونها أيضاً شاملة للنُّظُم الإسلامية في كل مجالاتها ، وفيما يأتي رصد لأهمية دراستها ، وهي :

١ - ترسيخ للهوية الإسلامية :

مفهوم الهوية : هي الخصوصية والسمات التي تميز جماعة بشرية عن غيرها ، وهذه السمات المميزة قد تكون في : العقيدة ، أو اللغة المشتركة ، أو التاريخ ، أو الثقافة...إلخ[٣].

مفهوم الهوية الإسلامية : «الإيمان بعقيدة هذه الأُمّة ، والاعتزاز بالانتماء إليها ، واحترام قيمها الحضارية والثقافية ، وإبراز الشعائر الإسلامية ، والاعتزاز والتمسك

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٣٢٩).

(٢) المصدر السابق (١٣/٣٢٩).

(٣) انظر : الهوية والبناء الاجتماعي ، أ. خالد حامد (١٢٩).

Scanned with CamScanner

بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ، والشهادة على الناس»[1].

على أن العقيدة الإسلامية هي المرجع الأصيل للهوية الإسلامية، وعليها مدار الولاء والبراء، كما جعل الإسلام شعائر الدين من مرتكزات الهوية الإسلامية التي تميز الفرد والمجتمع، وهى من عوامل التميز من حيث المصدر والزمان والمكان، فالمسلم هو من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا، ورضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا[2].

٢ – تحصيل للعلم الشرعي:

فقد رغّبَ الإسلام في العلم والتعلُّم وأثنى على أهله ومدحهم، قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ (المجادلة: ١١)، ويقول ﷻ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر: ٩)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (...وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ)[3].

والعلم الممدوح نوعان:

- العلم الشرعي إذا كان بإخلاص وغايته العمل.

---

(١) مستقبل الهوية الإسلامية في ظل العولمة الثقافية، د. خليل نوري (٤٥).

(٢) انظر: مستقبل الهوية الإسلامية في ظل العولمة الثقافية، د. خليل نوري (٤٧ – ٥٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: العلم، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث (٢٦٩٩).

Scanned with CamScanner

- العلم الدنيوي إذا أريد به عمارة الأرض وإقامة العبودية لله تعالى.

ولكن الممدوح في الشرع **بالأصالة** هو العلم الشرعي، والعلم الدنيوي مدْحُهُ لغيره لا لذاته، ولهذا ذمَّ الله تعالى من تعلَّم علم الدنيا ونسي عِلْم الآخرة، فقال سبحانه: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (الروم: ٧). والثقافة الإسلامية تدفع نحو التعلُّم بشقيه الشرعي، والدنيوي، وتحثُّ عليه.

٣ – القدرة على الإفادة والإضافة:

الثقافة الإسلامية تعطي الطالب والطالبة أسباب التفاعل الإيجابي مع الواقع، والإضافة إلى العِلْم، والتجارب الحضارية الرائدة؛ بما ترتكز عليه من قواعد علمية ومنهجية، ومن قدرة على الإبداع والتجديد مع انضباط بالمنهج الإسلامي المتوازن، دون تمييع أو انغلاق، ومن استناد أصولها وقواعدها على الحقائق العلمية والبُعد عن الخرافة أو الشعوذة.

وهي في سبيل ذلك تحثّ على العِلْم، وتجمع بينه وبين العمل، وتوائم بين التزام الدين وعمارة الأرض، ورسول الله ﷺ أسوة لنا جميعا في الإفادة من التجارب الناجحة، فعن أنس رضي الله عنه قال: (لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الرُّومِ، قِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَاباً إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَخْتُوماً؛ فَاتَّخَذَ خَاتَماً مِنْ فِضَّةٍ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ، وَنَقَشَ فِيهِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ)[1].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يقاتلون عليه، حديث (٢٩٣٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب: اللباس والزينة، باب: في اتخاذ النبي ﷺ خاتما لما أراد أن يكتب إلى العجم، حديث (٢٠٩٢).

Scanned with CamScanner

٤ – التعرّف على التحديات التي تواجه الأُمّة:

بدراسة الثقافة الإسلامية ينتبه الطالب للشبهات التي تثار حول الإسلام وشرائ والمسلمين وتاريخهم وحضارتهم؛ بدافع الحقد والبغض من بعض أقلام المستشرقي والمستغربين؛ خاصة في قضايا المرأة، ومسائل الحدود الشرعية، وحقوق الإنسا بزعمهم، ويعرف كيفية مواجهتها والتصدي لها، والرد عليها، كما يتعرف عل موجات الغزو الثقافي والفكري المتتابعة على بلاد الإسلام تحت مسميات عِدّة: علمانية، وعولمة، وتغريب...إلخ.

***

مجالات الثقافة الإسلامية

سبق أن قلنا إن الثقافة الإسلامية تتمحور حول الإسلام عقيدة وشريعة، وأخلاقاً، ومع ذلك فإنه ينبغي أن تُحدَّد موضوعاتها، وإطار كل موضوع منها، ومنهجه البحثي والعلمي، فتلك سمة الدراسة العِلْمية الأكاديمية، **وهذه الموضوعات هي:**

١ – الدين الإسلامي والأنْظِمة تحته، على النحو الآتي:

أ) العقيدة الإسلامية: تعريفها، أصول الإيمان الستة، وما يتعلق بها.

ب) العبادات: ببيان مفهومها، وأنواعها، وكيفياتها، وآثارها، وحِكمها.

ج) النظام الاجتماعي: ويتناول مفهوم الأسرة وأهميتها، ومكانتها، وخصائصها، وعوامل حمايتها، وما يتعلق بالمجتمع وعوامل بنائه واستقراره، وضوابطه...إلخ.

د) النظام الاقتصادي: ويتناول أسس الاقتصاد الإسلامي ومزاياه، وأهميته وأهدافه، والعمل ومجاله، وحقوق العاملين، والمِلْكيّة، والتكافل الاجتماعي.

Scanned with CamScanner

مصادر الثقافة الإسلامية وروافدها

المصادر لغةً: جمع، ومفرده مصدر، وهو: موضع الصدور، وصدر كل شيء: أوله. فالمصدر: هو الأصل الذي ينشأ عنه غيره، وينبثق منه[1].

ونعني بها هنا: القواعد الكبرى التي تُعطي للثقافة الإسلامية قيمتها، وقوتها، واستمرارها وبقاءها، وشمولها وغايتها.

والروافد لغةً: جمع مفرده رافد، ولها معانٍ، منها: الإعانة، والدعم، والعطاء[2].

ونعني بها هنا: المَعِين الذي يعطي للثقافة الإسلامية ما يميزها من: تراث إسلامي، وتاريخ، ولغة، **دون أن يكون له مدخل في العقيدة أو الشريعة**؛ لكونهما لهما مصادرهما الأساسية.

وإذا علمنا أن القرآن والسُنّة هما عماد الثقافة الإسلامية تجلّتْ لنا العلامة الفارقة بين ثقافتنا هذه وبين غيرها من الثقافات الأرضية، فمصادرنا التي نستقي منها ثقافتنا الإسلامية مصادر ثابتة صحيحة موثوقة كاملة وشاملة من ربٍّ لطيفٍ خبيرٍ، لا يمكن بحالٍ أن تنحرف أو أن تخطئ.

وفيما يأتي نستعرضُ مصادر ثقافتِنا الإسلامية: الأساسية منها، والروافد الفرعية بشيء من التفصيل:

***

---

(١) انظر: الصحاح، للجوهري، مادة (صدر).

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (رفد).

Scanned with CamScanner

المصادر الأساسية

وهي: القرآن الكريم، والسُنّة النبوية، والإجماع، والقياس.

المصدر الأول: القرآن الكريم

١- تعريف القرآن الكريم ومنزلته:

تعريفه: «كلامُ الله، المنزل على نبيه محمد ﷺ، المُعْجِز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر»[١].

منزلته: القرآن الكريم هو المصدر الأول للثقافة الإسلامية، وهو آخر الكتب السماوية، وخاتمها، وأطولها، وأشملها، وهو الحاكم عليها[٢]، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة: ٤٨).

قال السعدي رحمه الله: «﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: أي مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة وزيادة في المطالب الإلهية، والأخلاق النفسية؛ فهو الكتاب الذي يتبع كل حق جاءت به الكتب، فأمر به، وحث عليه، وأكثرَ من الطرائق الموصلة إليه، وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحِكَم والحِكْمَة، والأحكام، الذي عُرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود قد دخله التحريف والتبديل، وإلا لو كان من عند الله لم يخالفه»[٣].

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (١/١٥).

(٢) انظر: عظمة القرآن، محمود الدوسري (٣٥٧ – ٣٧٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٩٠).

Scanned with CamScanner

وهو ضمان لمن اتبعه بألا يشقى في الدنيا والآخرة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ضمن الله لِمَن قرأ القرآن ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (طه: ١٢٣)»(١).

وهو هداية للبشر إلى الطريق المستقيم، قال سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥ - ١٦).

وفي معنى السّلام في الآية: قيل: «السّلام: هو الله عز وجل، وسبيلُهُ: دينه الذي شرع لعباده، وبعث به رسله، وقيل: السلام هو السلامة، والمراد به طرائق الهداية»(٢).

٢- من خصائص القرآن الكريم:

أ) **أنه كلام الله تعالى:** فالقرآن الكريم كلام الله على الحقيقة، تكلّم به سبحانه، وتلقاه جبريل عليه السلام، فنزل به، وأداه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تلقاه من الربِّ جلَّ شأنه(٣).

وكلام ربنا غير مخلوق، فهو كلام مَنْ ليس كمثله شيء، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ (التوبة: ٦).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣٦/٧)، رقم (٣٤٧٨١)، والحاكم في المستدرك، رقم (٣٤٣٨) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢٢/٢).

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هراس (١٥٣ - ١٥٤).

Scanned with CamScanner

فهذه الآية الكريمة «حُجّة صريحة لمذهب أهل السُنّة والجماعة، القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لأنه تعالى هو المتكلم به، وأضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها»[1] فكفى بذلك فضلا وشرفاً.

ب) **أنه معجز**: وقد بين العلماء صوراً من وجوه إعجازه، ومن أبرزها: الإعجاز البياني، وكذلك من وجوه إعجاز القرآن الكريم: الإعجاز التشريعي، والإعجاز الغيبي.

يقول د. محمد بن عبد الله دراز: «لعمري! لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب ترتيبه معجزات، وفي نبوته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات – لعمري! إنه في ترتيب آيه على هذا الوجه لهو معجزة المعجزة»[2].

ج) **الحفظ**: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩). فلم تتبدل منه كلمة، ولا تَغيَّر فيه حرف واحد؛ وهذا يمثل للثقافة الإسلامية تميزاً وثباتاً في منطلقاتها المحفوظة في آيات القرآن دون تحريف بالزيادة أو النقصان[3].

د) **الشمول**: حيث يشتمل على الأصول الجامعة والنظم الضابطة في جوانب الحياة المختلفة؛ في النظام الاقتصادي، والسياسي، والأخلاقي، مع

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (٢/٢٢٦).

(٢) النبأ العظيم (٢٠٩).

(٣) انظر: منطلقات أساسية في الثقافة الإسلامية، د. نوال العيد، د. شريفة الحازمي (٣٥).

Scanned with CamScanner

تنوع في الخطاب من إقامة للحجج العقلية، والأدلة الكونية، ولفت النظر إلى الأقيسة، وكذا مخاطبته للوجدان ودعوته لطهارة القلب وزكاة النفس[1].

٣- واجبنا تجاه القرآن:

أ) **الإيمان به والتسليم المطلق له:** وبكل ما جاء فيه، وأنه كلام الله المنزَّل على رسوله ﷺ، والإيمان بأنه محفوظ لا يتطرق إليك أدنى شك.

ب) **قراءته وتدبره:** قال سبحانه: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، والخِطَاب وإن كان ظاهره موجهًا للنبي ﷺ فإنه أيضا أمرٌ لأُمّتِه، بدليل قوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ (المزمل: ٢٠). وفي شأن التدبر والفهم عن القرآن، والتأثر عند قراءته أو سماعه، يقول سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢)، ويقول جلَّ وعلا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ (محمد: ٢٤).

وفي فضل قراءة القرآن يروي ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: (مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ)[2].

---

(١) انظر: الثقافة الإسلامية: أ. د. محمد باجابر وزميله (٣٠).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر، حديث (٢٩١٠). وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

Scanned with CamScanner

ج) **العمل به:** فالعمل بالقرآن هو ذروة حقوق القرآن وسنامها، وهـ
الغاية من تنزّله على رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ
مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٥)، يقول الحسن البصري
رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن من كان قبلكم رأوا القرآنَ رسائلَ من ربهم، فكانوا
يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها بالنهار)[١].

والعمل به يتضمن: تحليل حلاله، وتحريم حرامه، والاعتبار بأمثاله، والوقوف عند عجائبه، ورد مسائل النزاع إليه، وترك الإلحاد في ألفاظه ومعانيه.

٤- هدايات القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٩).

يقول الشنقيطي[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الآية الكريمة أجمل الله جلّ وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرائق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة»[٣] فالقرآن يهدي للتي هي أقوم في:

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي (٧٢).

(٢) هو محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ولد عام (١٣٢٥هـ)، في شنقيط في دولة موريتانيا الإسلامية، عمل بالقضاء والتدريس والفتيا، لزم عقيدة أهل السنّة والجماعة، من أبرز مؤلفاته: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، توفي عام ١٣٩٣هـ. ينظر: (من علماء الحرمين، للشيخ محمد عطية سالم: ٤٤٥ وما بعدها).

(٣) أضواء البيان (١٧/٣).

المصدر الثاني: السُنّة النبوية

١- تعريف السُنّة اصطلاحا: «ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلْقِية أو خُلُقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها»[(١)].

٢- حجيتها: تعدُّ المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهي مستقلة بتشريع الأحكام، كالقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (الحشر: ٧)، وقد ثبت عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه أنه ﷺ قال: (ألا إنّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلاَ يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ)[(٢)].

قال الشوكاني رحمه الله: «ثبوت حجية السُنّة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظّ له في دين الإسلام»[(٣)].

٣- أقسام السُنّة: تنقسم إلى:

أ) سُنّة قولية: كقوله ﷺ: (إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يقبل إلا طَيِّباً)[(٤)].

---

(١) السُنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي (٦٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: السُنّة، باب: في لزوم السُنّة، حديث (٤٦٠٤)، واللفظ له، والترمذي في سننه، كتاب: العلم، باب: ما نُهيَ عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، حديث (٢٦٦٤) وقال: هذا= =«حديث حسن غريب من هذا الوجه».

(٣) إرشاد الفحول (١/٩٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حديث (١٠١٥).

Scanned with CamScanner

ب) سُنّة فعلية: وهي ما صدر عن النبي ﷺ من أفعال ليست جبلّية؛ كأداء الصلاة بهيئاتها المعروفة، وكيفية الوضوء، ونحو ذلك[1].

ج) سُنّة تقريرية: وهي إقرارات الرسول ﷺ لما صدر عن بعض أصحابه بسكوته ﷺ، كما ثبتَ أنْ قُدِّمَ للنبيِّ ﷺ ضبٌّ، فرفعَ رسولُ اللهِ ﷺ يدَهُ، فقال خالدُ بنُ الوليدِ رضي الله عنه: أحرامٌ الضبُّ يا رسولَ الله؟ قال: (لا، ولكنه لم يكنْ بأرضِ قومي فأجدُني أعافُهُ)، قال خالدٌ رضي الله عنه: فاجتررتُهُ فأكلتُهُ، ورسولُ اللهِ ﷺ ينظرْ، فلم ينهني[2].

٤- منزلة السُّنّة من القرآن:

منزلة السُّنّة الثابتة عن النبي ﷺ من القرآن على ثلاثة وجوه:

أ) أن تكون موافقة: فيأتي الحكمُ في القرآن والسُّنّة معا، مثل: الأمر بالصلاة، والنهي عن الربا.

ب) أن تكون مبينة: مثل تفسير «الزيادة» في قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس: ٢٦)، فسَّرها ﷺ بالنظر إلى وجه الله تعالى[3].

---

(١) انظر: أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام، د. محمد العروسي عبد القادر (١٤٥- ١٦٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الذبائح والصيد، باب: الضبِّ، حديث (٥٥٣٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: إباحة الضبِّ، حديث (١٩٤٦).

(٣) انظر: حديث مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، حديث (١٨١). رواه صهيب رضي الله عنه.

Scanned with CamScanner

ج) أن تكون زائدة على ما في القرآن: مثل السُنّة الواردة في تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها، وإيجاب استئذان المرأة عند إرادة تزويجها[1].

مواصنار

٥- التسليم لنصوص القرآن الكريم والسُنّة المطهرة:

يجب التسليم للقرآن والسُنّة، والانقياد لهما؛ فذلك تابع لكمال الإيمان؛ إذ يزداد مع زيادة الإيمان، ويضعف مع ضعفه، فكلما زادت في قلب المؤمن الخشية لله تعالى، والتعظيم له، واليقين بحكمته وعلمه ورحمته، زاد التسليم والانقياد.

أما إذا عارض المرء بعقله وما يُلقى عليه من شبهات نصوص الوحي فإنه لن يدوم على إيمان، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من تعوَّد معارضة الشرع بالرأي لا يستقر في قلبه الإيمان»[2].

وهذه الشبهات التي يعارض بها أهلُ الزيغ نصوصَ الوحي لا تخرج عن كونها (أهواءً)؛ كما صرحَّ بذلك القرآن الكريم: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (القصص: ٥٠).

فينبغي أن تعلم أن آيات القرآن الكريم ونصوص السُنّة بينة جلية، يفهمها الإنسان من خلال فَهْمِ اللغة التي حملت هذه الآيات، وبالمنهج الذي بينه النبي

---

(١) انظر: الفكر المنهجي عند المحدثين، همام عبد الرحيم (٣٠، ٣١).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/١٠٢).

Scanned with CamScanner

ﷺ، وسار عليه صحابته؛ فاتخاذ فَهْمِ الصحابة ومن سار على نهجهم معياراً لضبط المفاهيم ضمانٌ للوصول إلى مراد الله ومراد رسوله ﷺ.

المصدر الثالث: الإجماع

تعريفه عند الأصوليين: «اتفاق مجتهدي أُمّة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من الأعصار على أمر من الأمور»(١).

ودليله: قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ١١٥).

وجه الاستدلال: أن في الآية وعيداً لمن شاقَّ الرسول ﷺ واتبع غير سبيل المؤمنين، والوعيد لا يكون إلا على أمر مُحرَّم أو ترك واجب، والإجماع هو سبيل المؤمنين.

وقد جاءت أحاديث كثيرة عن المعصوم ﷺ يخبر فيها بعصمة هذه الأُمّة إذا اتفقت، أن يقع منها الخطأ في ذلك الاتفاق، ومنها:

قول النبيِّ ﷺ: (...سألت الله ألا تجتمع أمتي على ضلالة فأعطانيها)(٢).

وعن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ)(٣).

---

(١) إرشاد الفحول، للشوكاني (١/٩٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، عن أبي بَصْرَةَ الْغِفَارِيِّ، حديث (٢٧٢٢٣)، والطبراني في الكبير (٢/٢٨٠).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الأدب، باب: ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، حديث= =(٢٨٦٣). وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

Scanned with CamScanner

المصدر الرابع: القياس

تعريفه عند الأصوليين: «إلحاق فرع بأصل في حكم؛ لعلة جامعة»[1].

حجيته: جمهور العلماء على أن القياس أصلٌ من أصول الفقه، وحُجَّة شرعية في الأحكام الشرعية العملية.

أدلتهم: قوله ﷺ لمن سألته عن الصيام عن أُمِّها بعد موتها: (أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ فَقَضَيْتِيهِ أَكَانَ يُؤَدِّي ذَلِكِ عَنْهَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: فَصُومِي عَنْ أُمِّكِ)[2].

ومثاله: تحريم تعاطي المخدرات قياسا على الخمر التي وَرَد النَّصُّ بتحريمها في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة: ٩٠). فالعلة في تحريم الخَمْر الإسكار، وهي متحققة في المخدرات.

***

الروافد الفرعية للثقافة

الروافد الفرعية للثقافة الإسلامية عديدة ومتنوعة، وكلها يثري ثقافتنا ويغذِّيها، لكن كما ذكرنا سلفاً بأن هذه الروافد لا مدخل لها في عقيدتنا أو عباداتنا أو شريعتنا، إنما هي من جملة ما يميز ثقافتنا الإسلامية، ويحدد هويتها، ومنها:

---

(١) إرشاد الفحول، للشوكاني (٢/٩٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الصيام، باب: قضاء الصيام عن الميت، حديث (١١٤٨). عن ابن عباس رضي الله عنهما.

Scanned with CamScanner

الرافد الأول: التاريخ الإسلامي

حين نحدد الروافد الفرعية لثقافتنا الإسلامية لا نستطيع أن نغفل أهمية التاريخ الإسلامي؛ بما يمتاز به تاريخنا الإسلامي من توثيق ودقة، وتنوع في المادة التاريخية.

فالتاريخ الإسلامي لاسِيَّمَا في القرون الثلاثة المفضلة[1] كان نموذجاً للتطبيق العملي للإسلام عقيدة، وعبادة، وخلقا، وفي جوانب الحياة المختلفة؛ مما يبرز أهمية الوعي بالتاريخ، كما يعبر عن ذلك العلامة ابن خلدون بقوله: «فنُّ التاريخ فنٌّ عزيز المذهب، جمُّ الفوائد، شريف الغاية؛ إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم؛ حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا»[2].

الرافد الثاني: التراث الإسلامي

وهو: «ما صحَّ من التراث الإسلامي الأصيل من عهد النبي ﷺ إلى اليوم من: تاريخ، وعلوم، ومعارف، وأعراف، واجتهادات فردية كانت أم جماعية في مجالات مختلفة، شريطة أن تهدف هذه الأمور إلى ما فيه مصلحة المسلمين في شؤون دينهم ودنياهم»[3].

---

(١) وقد صرَّح بهذا التفضيل المذكور: قولُهُ ﷺ: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، حديث (٢٦٥٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث (٢٥٣٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) المقدمة (١٣)، وانظر: الوجيز في الثقافة الإسلامية، د. همام سعيد وآخرون (٧٤ — ٧٩).

(٣) أضواء على الثقافة الإسلامية، د. أحمد فؤاد محمود (٣٣).

Scanned with CamScanner

والمقصود بما صحَّ من تراثنا أي ما نسب لأهل السُّنّة والجماعة من هذه العلوم احترازاً عن تراث أهل الضلال: كالخوارج، والرافضة، والمعتزلة، وغيرهم من أهل الضلال، إذ لا يعتدُّ بما كتبوه لمخالفته صريح الكتاب والسُّنّة.

الرافد الثالث: اللغة العربية

إذا كانت اللغات من أعظم شعائر الأمم؛ فإن العربية هي شعارأهل الإسلام، وهي لسان الوحي المبين، ولغة التعبد لله رب العالمين، ولذا بلغ من عناية أئمة الإسلام باللغة العربية أنهم كرهوا أن يتخاطب الناس في سائر كلامهم بغير العربية، يقول ابن تيمية رحمه الله: «إنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية، حتى يتلقنها الصغار في المكاتب وفي الدور؛ فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف»[1].

***

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢٠٦-٢٠٧).

Scanned with CamScanner

خصائص الثقافة الإسلامية

الخصائص: جمعٌ، ومفردُهُ خصيصة، ومعناها: تفرد الشيء بصفات تميزه عن غيره، وتُظْهِر فضله[1].

ولاشك أن للثقافة الإسلامية خصائص تميزتْ بها عن غيرها من الثقافات الأرضية، وهذه الخصائص متعددةٌ لكنها تجتمع عند خصيصة واحدة تنبثق عنها غيرها، وترجع إليها وهي: كونها ربانية المصدر، جاءت من لدنٍ حكيمٍ خبيرٍ.

ومعرفة الطالب والطالبة بهذه الخصائص لثقافته الإسلامية يزيده استمساكا والتزاما بثقافته العريقة النافعة الهادية؛ فهي تبين للمرء غايةَ وجوده في الكون، وتُبَيِّنُ له علاقته بخالقه، وعلاقته مع الناس، وإلى أين مصيره ومنتهاه، فيعلم حينئذ رحمةَ ربه به؛ وهدايته له، إذ لم يدعْه يضع منهجَ حياته بنفسه، ولا شكْلَ نظامه وشريعته وعقيدته من عقله، بل تولَّى ﷻ أمر ذلك، وأوضحه غاية الوضوح، **وإليك بعضا من هذه الخصائص**:

***

أولاً: الربانية

فالإسلام دين الله الذي ارتضاه للعالمين، وهذه الخصيصة أعظم خصائصه، مصدره القرآن والسُنّة، وهما وحي الله المحفوظ، قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣ – ٤).

---

(١) انظر: المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد (١٥٧/٤)، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١٥٣/٢)، والكليات، للكفوي، تعليق: محمد المصري (٤٢٢).

Scanned with CamScanner

وجانب آخر من ربانية هذا الدين: فكما أن مصدره من عند الله تعالى فكذلك غايتُهُ وهدفُهُ هو تحقيق مرضاة الله ﷻ، والقيام بعبادته؛ فتلك هي الغاية من خلق الجن والإنس، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

- **أهم مظاهر الربانية:**

١ – بيان الحقائق الكبرى التي لا يستطيع الإنسان معرفتها إلا بالوحي المعصوم: كمعرفة الخالق، وأسمائه وصفاته وأمره ونهيه، وبداية الخليقة، والغاية من خلق الإنسان.

٢ – السلامة من النقص والتعارض والهوى: وموافقة العقل السليم، والعلم الصحيح؛ يقول الله تعالى مبينا عظمة دينه واتفاق تشريعاته: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

٣ – تحرير الإنسان من عبودية الهوى: فيعمل وفق شرع الله، وأمره ونهيه، ولا يطلب إلا رضى الله سبحانه، كما في الحديث: (مَن التَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ)[1].

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: يَا عَدِيُّ، اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١)، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا

يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئاً اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئاً حَرَّمُوهُ)[1].

٤ – مراعاة الفِطْرَة: فالإنسان بفطرته يتجه إلى التوحيد الخالص لله سبحانه، ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ. ثمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾...الآيَةَ (الروم: ٣٠))[2].

وكذلك فإن الفِطْرَة تتجلّى في هذا الدين في يُسْرِه وسماحته، وفي مخاطبته لكل جوانب النَّفْس البشرية، بما يلبي حاجات الجسد والروح، ويخاطب العقل والعاطفة: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

***

ثانياً: الشمول والكمال

وشمولها في استيعابها كل جوانب الحياة ومجالاتها، وكمالها في كونها تامّة وافية، لا نقْصَ فيها ولا عَجْز في حقائقها ومبادئها، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة، حديث (٣٠٩٥)، وحسنه الألباني في (الصحيحة) رقم (٣٢٩٣).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام؟، حديث (١٣٥٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث (٢٦٥٨).

Scanned with CamScanner

- **أهم مظاهر شمول الثقافة الإسلامية:**

١ – **شمول الخطاب للثقلين:** الجِنّ والإنس، وللزمان والمكان كله من بعثة الرسول ﷺ إلى قيام الساعة.

٢ – **شمول النظرة للإنسان:** فلم تنظر للإنسان على أنه جسم فقط، أو عقل فقط، أو روح فقط، بل باعتبار هذا التكوين جميعا، كما شملت إحاطتها للإنسان كل مراحل حياته؛ من يوم كان في بطن أُمِّه جنينا، إلى بعد وفاته؛ بالصلاة عليه وقسمة تركته...إلخ[1].

٣ – **الشمول في تحديد هدف الإنسان ووسيلته إليه:** للإنسان هدف محدد في هذه الحياة، والذي حدده له هو الله سبحانه، ودعاه إلى السير إليه لتحقيقه؛ فالهدف: نَيْلُ رضوان الله سبحانه، ووسيلته: العبادة الخالصة لله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

٤ – **شمول النظر إلى الدنيا والآخرة:** فالدنيا مزرعة الآخرة، قال سبحانه: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ (القصص: ٧٧).

***

(١) انظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة، د. عمر الأشقر (٧٣).

Scanned with CamScanner

ثالثاً: الوسطية

وهي ميزة ظاهرة في أُمَّتِنا، قال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣) والوسَطُ: فسره رسولُ الله ﷺ بالعدل[١].

يقول ابن جرير[٢] رحمه الله: «إنما وصفهم الله تعالى ذكره بأنهم وسط؛ لتوسطهم في الدين»[٣].

والوسطية تتأتى من التزام الهدي النبوي، وعدم الحَيْد عنه، سواء في الاعتقادات، أو العبادات، أو المعاملات أو الأخلاق، قال سبحانه: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (هود: ١١٢). فالقرآن يدعو إلى الوسطية وعدم الميل والانحراف عنها، ومجاوزة الحَدّ، وطريق الوسطية هو التزام الصراط المستقيم.

ويختلف حظّ الناس من الوسطية بحسب قربهم أو بعدهم عن منهج النبي ﷺ وأصحابه، إذ الوسط هو ما يحدده الشرع، لا العقل أو الحِس؛ فهما وحدهما لا يكفيان لتعيين الوسط.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣)، حديث (٤٤٨٧) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد، ويكنّى بأبي جعفر، وينتسب إلى طبرستان، ولد عام (٢٢٤هـ)، وكان زاهدا ورعا، اشتغل بالتأليف، والتدريس، فهو من كبار المفسرين، توفي في بغداد عام (٣١٠هـ)، ومن أهم مؤلفاته: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. يُنظر في ترجمته: (طبقات المفسرين، للسيوطي (٣٠) وما بعدها).

(٣) جامع البيان (٦/٢).

Scanned with CamScanner

- **أهم مظاهر الوسطية:**

١ – التوازن في الاعتقاد: فالمسلمون وسط بين اليهود والنصارى؛ في التوحيد، والأنبياء، والشرائع، والحلال والحرام، والأخلاق، وغير ذلك، وأهل السُنّة والجماعة وسط بين الفِرَق الضالّة كذلك[(١)].

٢ – التوازن في العبادات: فالنصارى عبدوا الله ببدع ابتدعوها، واليهود أعرضوا عن العبادات حتى في يوم السبت الذي أمرهم الله أن يتفرغوا فيه لعبادته، أما المسلمون فقد عبدوا الله وحده بما شرع، لا بالبدع، وفي أمْرِ الحلال والحرام: المسلمون هم الوَسَط بين أهل الكتاب؛ فاليهود في آصار وأغلال عُذِّبوا بها من تحريم للطيبات[(٢)]، والنّصارى على النقيض استحلُّوا الخبائث وجميع المحرمات وباشروها[(٣)].

٣ – التوازن بين العبادة والعمل: فللشعائر التعبدية وقتها، وللنشاط العملي مجاله وميدانه، كما في حديث الثلاثة الذين أتوا بيوت أزواج النبي ﷺ[(٤)] وأوضح لهم النبي ﷺ هذه الخصيصة.

***

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٣/٣٧٠).

(٢) انظر: منهاج السُنّة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم (٥/١٧٢).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن ابن قاسم، وابنه محمد (٣/... والوسطية، جمع وترتيب وعناية، أبي الفضل عبد السلام بن عبد الكريم (٧٠ – ٧٣).

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، حديث (... ومسلم في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنة، ... من عجز عن المؤن بالصوم، حديث (١٤٠١) عن أنس رضي الله عنه.

رابعاً: صلاحها لكل زمان ومكان

فالثقافة الإسلامية ثقافة إنسانية عامة لا تُفرِّق بين إنسان وإنسان، صارفة النظر عن اعتبار اللون والعرق والموطن، كما أنها غير محدودة بمكان ولا زمان، ذلك أن الإسلامَ منبعُها الأساسي، وهو رسالة الله الخاتمة للناس جميعا، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

لذا حارب الإسلامُ العنصريةَ والنعرات الجاهلية، ودعا إلى الوحدة على دين الله وسُنَّة نبيه ﷺ، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ (الحجرات: ١٣)، وقال النبيُّ ﷺ حينما وجدَ بعضَ أصحابِهِ يُظهرُ عصبيةً لقومِهِ: (دَعُوها فإنَّها منتنةٌ)[١].

- **أهم مظاهر صلاحها لكل زمان ومكان:**

١ – ختْمُ الشريعة الإسلامية لما قبلها من الشرائع، فصار الإيمانُ بها، والالتزام بأحكامها، والتسليم لها فرضًا واجبًا على الإنسِ والجنِّ؛ قال الله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

٢ – تحديد مرجعية وحيدة للناس عند الاختلاف والتنازع، وهي الرجوع إلى الإسلام؛ قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء: ٥٩).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (المنافقون: ٦)، حديث (٤٩٠٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: نصر الأخ ظالما أو مظلوما، حديث (٢٥٨٤).عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

Scanned with CamScanner

٣ – قيام الشريعة على العدل، فالأحكام الشرعية ملزمة لكلِّ من جرتْ عليه أحكام الإسلام، لا يُظلم فيها أحدٌ، أو يُحابى أحدٌ؛ لأجل عِرْقِهِ، أو طبقته الاجتماعية، أو غناه، أو فقره...إلخ، قالَ سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (النساء: ١٠٥).

***

خامساً: إمكان تطبيقها

بمعنى أن الثقافة الإسلامية تتعامل مع الحقائق فتراعي طبيعة الإنسان وواقع الحياة.

- **ومن أهم مظاهر ذلك:**

١ – قيام العقيدة الإسلامية على الحقائق واليقينيات، ونبذها الخرافات والأوهام؛ حيث خاطبت العقل، وأبطلت ما عليه الجاهليون من اعتقادات باطلة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (المؤمنون: ٩١).

٢ – تناسب التكاليف الشرعية مع طاقة الإنسان وطبيعته وفطرته: وذلك مقرر في قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وقول النبي ﷺ (إنَّ اللهَ تجاوزَ عنْ أمتي ما حدَّثتْ به أنفسَها ما لم تعملْ أو تتكلمْ)[1].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الطلاق، باب: الطلاق في الإغلاق والكره والسكران...، حديث (٥٢٦٩)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، حديث (١٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

Scanned with CamScanner

٣ – مراعاة اختلاف الأحوال في التيسير؛ فالله سبحانه يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦)، وفي حال المرض يقول النبيُّ ﷺ: (صَلِّ قَائِماً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِداً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ)[١]، وفي السفر تقصر الصلاة ويباح الفطر للصائم.

٤ – قابلية الأحكام والتشريعات للتطبيق العملي وتحقيق المصلحة للمسلمين ولغيرهم، مع شمولها لكل مجالات الحياة؛ الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية...الخ.

٥ – ترتيب الجزاء على التكاليف الشرعية عند القيام بها أو إهمالها، ثواباً أو عقاباً، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة: ٧ – ٨)[٢].

***

سادساً: ثقافة أخلاقية

الثقافة الإسلامية تحوي روحًا أخلاقيةً عاليةً، ترتبط بالعقيدة برباط وثيق في كل عبادة ومعاملة، وتظهر في كل حكم وتوجيه وتنظيم؛ ولهذا فإن الثقافة الإسلامية دستور أخلاق، ومنهاج تربية، لرفع الإنسان الذي كرمه ربه بتكليفه لحمل الرسالة الإيمانية، وأدائها على النحو المراد.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب: تقصير الصلاة، باب: إذا لم يطق قاعدا صلى على جنب، حديث (١١١٧). عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) انظر: الوجيز في الثقافة الإسلامية، د. همام سعيد (٩٨).

Scanned with CamScanner

يظهر هذا جليا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٩٠).

وقول النبي ﷺ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ)[١].

وقال ابن القيم رحمه الله: «الدين كله هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق، فقد زاد عليك في الدين»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، مسند أبي هريرة، حديث (٨٩٣٩)، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: صحيح، وهذا إسناد قوي، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان فقد روى له مسلم متابعةً، وهو قوي الحديث، وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب: تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، حديث (٤١٨٧)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم (٢/٣٠٧).

Scanned with CamScanner

مقدمة

الإيمان في اللغة: التصديق.

وعند أهل السُنّة والجماعة: اعتقادٌ بالجنان، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[1].

فاعتقاد الجنان: معناه تصديق القلب ويقينه واعترافه وإقراره، **وقول اللسان:** أي النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمهما، كتلاوة القرآن والأذكار، **وعمل الأركان:** أي بالجوارح، كالركوع والسجود، وغير ذلك من الأعمال التي تؤدى بالجوارح ابتغاء مرضاة الله.

والعقيدة الإسلامية تقوم على أركان الإيمان الستة، وقد بيّن الله تعالى هذه الأصول الستة في قوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ (البقرة: ١٧٧)، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩).

وجمعها النبي ﷺ في إجابته على سؤال جبريل عليه السلام عندما سأله: ما الإيمان؟ فقال ﷺ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)[2].

وقبل أن نستعرض بيان الركن الأول من أركان الإيمان الستة يجدر بنا أن نعرّج على تعريف العقيدة، ومنهج أهل السُنّة والجماعة في تلقيها والاستدلال عليها.

---

(١) انظر: شرح السنة، للبغوي (١/٣٨ – ٣٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، حديث (٥٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، حديث (٩) واللفظ له. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

Scanned with CamScanner

١- تعريف العقيدة:

العقيدة لغة: مصدرها من «العقد» وهو الشدُّ والربط بقوة وإحكام[١].

واصطلاحاً: «هي الإيمان الجازم بالله تعالى، وما يجب له في ألوهيته، وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكلِّ ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره»[٢].

٢- منهج أهل السُنّة والجماعة في تلقي العقيدة:

أ) الاقتصار في منهج التلقي على الوحي.

ب) التسليم لما جاء به الوحي، مع التدبر العقلي في آيات الله، وفَهْم النصوص، ومعرفة محاسن الشريعة.

ج) ترك الابتداع.

٣- منهج أهل السُنّة والجماعة في الاستدلال على العقيدة[٣]:

أ) حجية السُنّة (متواترة وآحاد) على العقيدة.

ب) الالتزام بالكتاب والسُنّة لفظاً ومعنى.

ج) صحة فَهْمِ النصوص، بالاعتماد على فَهْمِ الصحابة، ومعرفة اللغة العربية، وجمع النصوص الواردة في المسألة الواحدة، ومعرفة مقاصد التشريع الإسلامي.

* * *

---

(١) القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مادة (ع ق د).

(٢) بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة، د. ناصر العقل (١١ – ١٢).

(٣) انظر: منهج التلقي والاستدلال، أحمد الصويان (٣٠ – ٥٢).

Scanned with CamScanner

(١) الإيمان بالله تعالى[١]

«والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى:

وقد دلَّ على وجوده تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع، والحِسّ.

١ – **أما دلالة الفطرة على وجوده:** فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها، قال النبي ﷺ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ)[٢].

٢ – **وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى:** فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابدَّ لها من خالق أوجدها؛ إذ لا يمكن أن تُوجد نفسَها بنفسِها، ولا يمكن أن توجَدَ صدفة.

- لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقا؟!

- ولا يمكن أن توجد صدفة؛ لأن كل حادث لابدَّ له من مُحْدِث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً

---

(١) شرح أصول الإيمان، فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (١٥ – ٢٦).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام؟، حديث (١٣٥٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث (٢٦٥٨).

Scanned with CamScanner

أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟!

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها ولا أنْ توجد صُدْفَة، تَعيَّن أن يكون لها مُوجِد وهو الله ربُّ العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور: ٣٥).

يعني أنهم لم يُخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فَتَعَيَّنَ أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع جبيرُ بن مطعم ﷺ رسولَ الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ (الطور: ٣٥ – ٣٧) وكان جبيرٌ يومئذ مشركاً قال: (كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي)[1].

ولنضرب مثلا يوضح ذلك، فإنه لو حدثّك شخص عن قصر مشيد، أحاطتْ به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، ومُلئ بالفرش والأسرَّة، وزُين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وُجد هكذا صدفة بدون موجِد، لبادرتَ إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددتَ حديثه سفها من القول!!

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة (والطور)، حديث (٤٥٧٣)، وكذلك في كتاب: المغازي، باب: شهود الملائكة بدراً، حديث (٣٧٩٨).

أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه، وسمائه، وأفلاكه، وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه أو وُجِد صدفة بدون موجد؟!

٣ – **وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى:** فلأن الكتب السماوية كلّها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق، دليل على أنها من ربٍّ حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

٤ – **وأما أدلة الحس على وجود الله تعالى فمن وجهين:**

(أحدهما) أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوْث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ (الأنبياء: ٧٦)، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (الأنفال: ٩).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (أَصَابَتْ النَّاسَ سَنَةٌ[1] عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلَكَ الْمَالُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا أَنْ يَسْقِيَنَا. قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ وَمَا

(١) السَّنَةُ: الجدب، يقال أخذتهم السَّنَةُ إذا أجدبوا وأقحطوا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/٣١٤).

Scanned with CamScanner

فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً[1]، قَالَ: فَثَارَ سَحَابٌ أَمْثَالُ الْجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ، قَالَ: فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ وَفِي الْغَدِ وَمِنْ بَعْدِ الْغَدِ وَالَّذِي يَلِيهِ إِلَى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، فَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ رَجُلٌ غَيْرُهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! تَهَدَّمَ الْبِنَاءُ، وَغَرِقَ الْمَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا. قَالَ: فَمَا جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا تَفَرَّجَتْ)[2].

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صَدَق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.

(الوجه الثاني) أن آيات الأنبياء التي تسمى «المعجزات» ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مُرْسِلِهم، وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييداً لرسله ونصراً لهم.

مثال ذلك: آية موسى ﷺ حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق اثني عشر طريقا يابسا، والماء بينهما كالجبال، قال الله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الشعراء: ٦٣).

(١) القَزَعَةُ: أي قطعة من الغيم، وجمعها: قَزَع. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤/٥٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الاستسقاء، باب: من تمطّر في المطر حتى يتحادر على لحيته، حديث (١٠٣٣)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة الاستسقاء، باب: الدعاء في الاستسقاء، حديث (٨٩٧).

Scanned with CamScanner

ومثال ثان: آية عيسى ﷺ حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال الله تعالى عنه: ﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ٤٩). وقال: ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ (المائدة: ١١٠).

ومثال ثالث: لمحمدٍ ﷺ حين طلبتْ منه قريش آيةً، فأراهم النبي ﷺ انشقاق القمر، وقال: اشهدوا[1]. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ (القمر: ١ – ٢).

فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله، ونصراً لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى.

الثاني: الإيمان بربوبيته:

«أي: بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين».

والربُّ: مَنْ له الخلق والملك والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا أمر إلا له، قال الله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ (الأعراف: ٥٤). وقال: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ (فاطر: ١٣).

ولم يُعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه، إلا أن يكون مكابراً غير معتقد لما يقول، كما حصل من فرعون حين قال لقومه: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النازعات: ٢٤). وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ (القصص: ٣٨)، لكن

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن الكريم، باب: تفسير: وانشق القمر، حديث (٤٥٣٨)، وصحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: انشقاق القمر، حديث (٢٨٠١).

Scanned with CamScanner

ذلك ليس عن عقيدة، قال الله تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (النمل: ١٤)، وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ (الإسراء: ١٠٢).

ولهذا كان المشركون يُقرُّون بربوبية الله تعالى مع إشراكهم به في الألوهية، قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ (المؤمنون: ٨٤ – ٨٩)، وقال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (الزخرف: ٩)، وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (الزخرف: ٨٧).

وأَمْرُ الربِّ سبحانه شاملٌ للأمر الكوني والشرعي، فكما أنه مدبِّرُ الكون، القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله تعالى مُشرعاً في العبادات أو حاكماً في المعاملات فقد أشرك به ولم يحقق الإيمان.

الثالث: الإيمان بألوهيته:

«أي: بأنه وحده الإله الحق لا شريك له».

و«الإله» بمعنى «المألوه» أي «المعبود» حبّاً وتعظيماً. وقال الله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: ١٦٣)، وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران: ١٨).

Scanned with CamScanner

وكلُّ ما اتُّخذ إلهاً مع الله يعبدُ من دونه فألوهيته باطلة، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ (الحج:٦٢)، وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية قال الله تعالى في اللات والعزى ومناة: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ (النجم:٢٣)، وقال عن يوسف أنه قال لصاحبي السجن: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ (يوسف:٣٩ – ٤٠)، ولهذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يقولون لأقوامهم: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ (الأعراف:٥٩).

ولكن أبى ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم مع الله تعالى، ويستنصرون بهم، ويستغيثون.

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين:

(الأول) أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية، فهي مخلوقة لا تخلق ولا تجلب نفعاً لعابديها، ولا تدفع عنهم ضرراً، ولا تملك لهم حياة، ولا موتاً، ولا يملكون شيئاً من السموات ولا يشاركون فيه.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ (الفرقان:٣)، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ

Scanned with CamScanner

أَذِنَ لَهُۥ﴾ (سبأ: ٢٢ – ٢٣)، وقال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (الأعراف: ١٩١ – ١٩٢).

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإن اتخاذها آلهة من أسفه السَّفه، وأبطل الباطل.

(والثاني) أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الربُّ الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، وهذا يستلزم أن يوحدوه بالألوهية كما وحدوه بالربوبية، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١ – ٢٢)، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (الزخرف: ٨٧)، وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ (يونس: ٣١ – ٣٢).

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته:

«أي: إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٠)، وقال: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

Scanned with CamScanner

وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الروم: ٢٧)، وقال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١).

وقد ضلّ في هذا الأمرِ طائفتان:

(إحداهما): المعطلة الذين أنكروا الأسماء، والصفات، أو بعضها زاعمين أن إثباتها لله يستلزم التشبيه، أي تشبيه الله تعالى بخلقه، **وهذا الزعم باطل لوجوه منها:**

الأول: أنه يستلزم لوازم باطلة كالتناقض في كلام الله سبحانه، وذلك أن الله تعالى أثبت لنفسه الأسماء، والصفات، ونفى أن يكون كمثله شيء، ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه لزم التناقض في كلام الله وتكذيب بعضه بعضاً.

الثاني: أنه لا يلزم من اتفاق الشيئين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلين؛ فأنت ترى الشخصين يتفقان في أن كلاًّ منهما: إنسانٌ سميع بصير متكلم، ولا يلزم من ذلك أن يتماثلا في المعاني الإنسانية والسمع، والبصر، والكلام، وترى الحيوانات لها أيدٍ، وأرجل، وأعين، ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها وأرجلها وأعينها متماثلة.

فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء، أو صفات، فالتباين بين الخالق والمخلوق، أبين وأعظم.

(الطائفة الثانية): المُشَبِّهَةُ الذين أثبتوا الأسماء، والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص، لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون، **وهذا الزعم باطل لوجوه منها:**

الأول: أن مشابهة الله تعالى لخلقه أمر باطل يُبطله العقل، والشرع، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسُّنّة أمراً باطلا.

Scanned with CamScanner

الثاني: أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى، أما الحقيقة والكُنْهُ الذي عليه ذلك المعنى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته، وصفاته.

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع، فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى (وهو إدراك الأصوات)، لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة، لأن حقيقة السمع تتباين حتى في المخلوقات، فالتباين فيها بين الخالق، والمخلوق، أبين وأعظم.

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه فإن الاستواء من حيث أصل المعنى معلوم، لكن حقيقة الاستواء التي هو عليه غير معلومة بالنسبة إلى استواء الله على عرشه، لأن حقيقة الاستواء تتباين في حق المخلوق، فليس الاستواء على كرسي مستقر كالاستواء على رحل[1] بعير صعب نفور، فإذا تباينت في حق المخلوق، فالتباين فيها بين الخالق، والمخلوق أبين وأعظم.

والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره؛ رجاءً، ولا خوفًا، ولا يعبد غيره.

الثانية: كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه».

---

(١) الرَّحْلُ: ما يُوضع على ظهر البعير فيُقْعد عليه. انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (رحل).

Scanned with CamScanner

(٢) الإيمان بالملائكة[1]

الملائكة: «عالم غيبي مخلوقون عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه».

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء: ١٩ – ٢٠).

وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في قصة المعراج أن النبي ﷺ رُفِعَ له البيت المعمور في السماء يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم[2].

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن عَلِمْنَا اسمه منهم باسمه (كجبريل عليه السلام) ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالا.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة (جبريل عليه السلام) فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق.

---

(١) شرح أصول الإيمان، فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٢٧ – ٣٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، حديث (٣٠٣٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، حديث (١٦٤). ومعنى آخر ما عليهم: برفع (آخر) وفتحها: أنه آخر دخولهم إياه. انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض (٢١/١).

Scanned with CamScanner

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل لجبريل عليه السلام حين أرسله تعالى إلى مريم فتمثل لها بشرا سويا، وحين جاء إلى النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وسأل النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، وأماراتها، فأجابه النبي ﷺ فانطلق. ثم قال ﷺ: هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم[(١)].

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام ولوط عليه السلام كانوا على صورة رجال.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه، والتعبد له ليلا ونهارا بدون ملل ولا فتور.

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة مثل: جبريل عليه السلام الأمين على وحي الله تعالى يرسله الله به إلى الأنبياء والرسل، **ومثل**: ميكائيل الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات، **ومثل**: إسرافيل الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق، **ومثل**: ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت، **ومثل**: مالك الموكل بالنار وهو خازن النار، **ومثل**: الملائكة الموكلين بالأجنة في الأرحام إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه، بعث الله إليه مَلَكاً وأمره بكتب رزقه، وأجلِه، وعمله، وشقي أو سعيد، **ومثل**:

---

(١) الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، حديث (٩). عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

Scanned with CamScanner

الملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم وكتابتها لكل شخص، ملكان: أحدهما عن اليمين والثاني عن الشمال، ومثل: الملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه ودينه ونبيه.

الإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العِلْمُ بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكَّل مِنْ هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

وقد أنكر قوم من الفلاسفة كون الملائكة أجساما: وقالوا: إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ (فاطر: ١)، وقال: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ (الأنفال: ٥٠)، وقال: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ﴾ (الأنعام: ٩٣)، وقال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ (سبأ: ٢٣)، وقال في أهل الجنة: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد: ٢٣ — ٢٤).

Scanned with CamScanner

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوه، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ)(١).

وعنه رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ الْمَلَائِكَةُ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ فَإِذَا جَلَسَ الإِمَامُ طَوَوُا الصُّحُفَ وَجَاؤُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ)(٢).

وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية، كما قال الزائغون وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون.

* * *

(٣) الإيمان بالكتب

الكُتُب: جمع «كِتَاب» بمعنى «مكتوب». والمراد بها هنا: **«الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة».**

الإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً، وأن الله تكلّم بها حقيقةً كما شاء(٣).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، حديث (٣٢٠٩)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده، حديث (٢٦٣٧).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، حديث (٣٢١١)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: الطيب والسواك يوم الجمعة، حديث (٨٥٠).

(٣) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم التوحيد في الأصول، تأليف الشيخ العلامة: حافظ بن أحمد الحكمي، حققه وعلّق عليه: محمد صبحي حلاق (٨٢٦ - ٨٢٧).

Scanned with CamScanner

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه: كالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ، والتوراة التي أُنزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام والزَّبور الذي أُوتيه داود عليه السلام، وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالا.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها: كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به، سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة: ٤٨) أي (حاكما عليه)، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن والسنة.

الإيمان بالكتب له ثمرات منها:

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتابا يهديهم به.

الثاني: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم. كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨).

الثالثة: شُكْر نعمة الله في ذلك.

***

Scanned with CamScanner

(٤) الإيمان بالرسل

الرسل: جمع رسول، بمعنى مرسَل، أي مبعوث بإبلاغ شيء. والمراد هنا: «من أوحي إليه من البشر بشرع وأُمِرَ بتبليغه». وأول الرسل نوح وآخرهم محمد ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ (النساء: ١٦٣).

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الشفاعة (أن النبي ﷺ ذكر أن الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر إليهم، ويقول: ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله، وذكر تمام الحديث)[1].

وقال الله تعالى في محمد ﷺ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

ولم تَخْلُ أُمَّة من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه، أو نبي يوحي إليه بشريعة مَنْ قَبْلَهُ ليجددها، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦)، وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر: ٢٤)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ (المائدة: ٤٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: قول الله: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة: ٣١)، حديث (٤٤٧٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: باب أدني أهل الجنة منزلةً فيها، حديث (١٩٣).

Scanned with CamScanner

والرسل: «بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء».

قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ وهو سيد الرسل وأعظمهم جاها عند الله: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٨). وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ (الجن: ٢١ – ٢٢).

وتلحقهم خصائص البشرية من المرض، والموت، والحاجة إلى الطعام والشراب، وغير ذلك، قال الله تعالى عن – إبراهيم ﷺ – في وصفه لربه تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ (الشعراء: ٧٩ – ٨١)، وقال النبي ﷺ: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي)[1].

وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتهم، وفي سياق الثناء عليهم فقال تعالى في نوح ﷺ: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (الإسراء: ٣)، وقال في محمد ﷺ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان: ١)، وقال في إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب – صلى الله عليهم وسلم –: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ (ص: ٤٥ – ٤٧)، وقال في عيسى بن مريم ﷺ: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الزخرف: ٥٩).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: التوجه نحو القبلة، حديث (٤٠١)، ومسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: السهو في الصلاة والسجود له، حديث (٥٧٢). عن ابن مسعود رضي الله عنه.

Scanned with CamScanner

والإيمان بالرسل يتضمن خمسة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمَنْ كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع. كما قال الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (الشعراء: ١٠٥). فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل، مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذّبوه، وعلى هذا فالنصارى الذين كذَّبوا محمدا ﷺ ولم يتبعوه هم مكذبون للمسيح بن مريم غير متبعين له أيضاً، لاسيما وأنه قد بشرهم بمحمد ﷺ ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسول إليهم ينقذهم الله به من الضلالة، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه: مثل: محمد وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن في سورة الأحزاب، في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ (الأحزاب: ٧). وفي سورة الشورى في قوله: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ (الشورى: ١٣).

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالا قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ (غافر: ٧٨).

الثالث: تصديق ما صحّ عنهم من أخبار.

Scanned with CamScanner

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم: وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥).

خامسا: الإيمان بأنهم بلَّغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا منه حرفًا ولم يغيِّروه، ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفًا ولم ينقصوه[١].

***

دلائل نبوة محمد ﷺ

أيَّدَ الله تبارك وتعالى رسوله محمدًا ﷺ بالدلائل والمعجزات الكثيرة الدالة على وجوب الإيمان به، وصدق رسالته، وهذه الدلائل والمعجزات فاقت الألف معجزة[٢].

ومن تلك الدلائل ما استمر بعد وفاته ﷺ كالقرآن الكريم، وما أخبر به من المغيبات، ومن بعض هذه المعجزات:

١ - **القرآن الكريم:** فقد تضمن هذا القرآن وجوهًا متعددة من الإعجاز؛ فالقرآن الكريم معجز بِلُغَتِهِ وفصاحته وبيانه وبلاغته وأحكامه وتشريعاته وبما حواه من أخبار وقصص، ومغيبات، وعلوم.

وقد تحدَّى الله قوم النبي ﷺ أن يأتوا بمثله أو بشيء منه.

(١) معارج القبول، الشيخ: حافظ حكمي، (٨٣١).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٤٠).

Scanned with CamScanner

٢ – انشقاق القمر: قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ (القمر: ١ – ٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أخبر ﷺ باقتراب الساعة وانشقاق القمر، وانشقاق القمر قد عاينوه وشاهدوه وتواترت به الأخبار، وكان النبي ﷺ يقرأ هذه السورة في المجامع الكبار مثل الجُمع والأعياد؛ ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها والاعتبار، وكل الناس يقر ذلك ولا ينكره»[١].

٣ – **نبع الماء بين أصابعه:** قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «..... آيات نبينا ﷺ مثل تكثير الماء، كان بوضع يده فيه، حتى نبع الماء من بين الأصابع؛ أي تفجّر الماء من بين الأصابع، لم يخرج من نفس الأصابع، وكذلك البئر كان ماؤها يكثر إما بإلقائه سهمًا من كنانته فيها، وإما بصبِّهِ الماء الذي بصق فيه»[٢].

٤ – **ما أطلع عليه من الغيوب وما سيكون في المستقبل:** «والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غُمره... وهي من جملة معجزاته المعلومة على القطع»[٣].

ومنها ما ورد في الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ما ترك شيئًا يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه،

---

(١) المرجع السابق (١/ ٤١٤).

(٢) المرجع السابق (٧/ ٤٩).

(٣) الشفا بتعريف حق المصطفى، للقاضي عياض اليحصبي (١/ ٤١٩)

Scanned with CamScanner

ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه»[1].

وللإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده؛ حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شُكْره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

الثالثة: محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده.

وقد كَذَّب المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر! وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم وأبطله بقوله: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ۝٩٤ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا﴾ (الإسراء: ٩٤ — ٩٥).

فأبطل الله تعالى هذا الزعم ببيان أنه لابد أن يكون الرسول بشرا؛ لأنه مرسل إلى أهل الأرض، وهم بشر، ولو كان أهل الأرض ملائكة لنزل الله عليهم من السماء

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: القدر، باب: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾ (الأحزاب: ٣٨)، حديث (٦٦٠٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب: إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، حديث (٢٨٩١).

Scanned with CamScanner

مَلَكاً رسولا، ليكون مثلهم، وهكذا حكى الله تعالى عن المكذبين للرسل أنهم قالوا: ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (إبراهيم: ١٠ – ١١)».

Scanned with CamScanner

(٥) الإيمان باليوم الآخر[١]

اليوم الآخر: «هو يوم القيامة الذي يُبعث الناس فيه للحساب والجزاء، وسُمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم».

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين، عراة غير مستترين، غُرْلاً غير مختتنين، قال الله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

والبعث: حقٌّ ثابت دلَّ عليه الكتاب والسُنّة وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون: ١٥ – ١٦)، وقال النبي ﷺ: (يُحشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ حُفاةً عُراةً غُرْلاً)[٢].

وأجمع المسلمون على ثبوته؛ وهو مقتضَى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلَّفهم به على ألسِنَة رُسله، قال الله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (المؤمنون: ١١٥)، وقال لنبيه ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ ﴾ (القصص: ٨٥).

---

(١) ينظر: شرح أصول الإيمان، الشيخ محمد العثيمين (٤٤ – ٥٢)

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: كيف الحشر، حديث (٦٥٢٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الجنة، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث (٢٨٥٩) واللفظ له. عن عائشة رضي الله عنها.

Scanned with CamScanner

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء: يحاسب العبد على عمله، ويجازى عليه، وقد دلّ على ذلك الكتاب، والسُّنّة، وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ (الغاشية ٢٥ – ٢٦)، وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٦٠)، وقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ[١] وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟، فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ. حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)[٢].

وصحّ عن النبي ﷺ أنه قال: (...فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ

---

(١) أي: يحفظه ويستره لئلا يُفتضح أمره. انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري (٤٩١/٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المظالم، باب: قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (هود: ١٨)، حديث (٢٤٤١)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، حديث (٢٧٦٨).

Scanned with CamScanner

حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»[1].

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضَى الحكمة؛ فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له، فلو لم يكن حساب ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي يُنزَّهُ الربُّ الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ (الأعراف: ٦ – ٧).

الثالث: الإيمان بالجنة والنار: وأنهما المآل الأبدي للخلق، فالجنة: «دار النعيم التي أعدها الله للمؤمنين المتقين الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متبعين لرسوله، فيها من أنواع النعيم مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: من همَّ بحسنة أو بسيئة، حديث (٦٤٩١)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: إذا همَّ العبد بحسنة كتبتْ، وإذا همَّ بسيئة لم تكتب، حديث (١٣١).

Scanned with CamScanner

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ (البينة: ٧ – ٨). وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة: ١٧).

وأما النار: «فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب، والنكال، مالا يخطر على البال».

قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣١). وقال: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف: ٢٩). وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ (الأحزاب: ٦٤ – ٦٦)».

الرد على منكري البعث:

وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن، وهذا الزعم باطل دلَّ على بطلانه الشرع، والحس، والعقل.

أما من الشرع: فقد قال الله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (التغابن: ٧)، وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه.

Scanned with CamScanner

(٦) الإيمان بالقَدَرِ[١]

القَدَر: بفتح الدال: «تقدير الله تعالى للكائنات، حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته».

والإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلا، أزلا وأبداً، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده.

الثاني: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ.

وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحج: ٧٠).

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)[٢].

الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء كانت مما يتعلق بفعله، أم مما يتعلق بفعل المخلوقين. قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ﴾ (القصص:٦٨). وقال: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ (إبراهيم:٢٧)، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُۚ﴾ (آل عمران:٦)، وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ

---

(١) ينظر: شرح أصول الإيمان، الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٥٣ – ٥٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام، حديث (٢٦٥٣).

Scanned with CamScanner

عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ﴾ (النساء: ٩٠)، وقال: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (الأنعام: ١١٢).

الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات قد خلقها الله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الزمر: ٦٢)، وقال: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ (الفرقان: ٢). وقال عن نبي الله إبراهيم ﷺ أنه قال لقومه: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات: ٩٦).

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرته عليها، لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.

أما الشرع: فقد قال الله تعالى في المشيئة: ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾ (النبأ: ٣٩)، وقال: ﴿ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، وقال في القدرة: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ ﴾ (التغابن: ١٦)، وقال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقُدْرَة بهما يفعل وبهما يترك، ويُفرِّق بين ما يقع بإرادته كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى وقدرته، لقول الله تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (التكوير: ٢٨ – ٢٩)؛ ولأن الكون كله مُلْكٌ لله تعالى فلا يكون في مُلْكِهِ شيء بدون علمه ومشيئته.

Scanned with CamScanner

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات أو فَعَلَ من المعاصي، وعلى هذا فاحتجاجُهُ به على ترك واجبٍ أو فعْل محرمٍ باطلٌ من وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام:١٤٨)، ولو كان لهم حُجَّة بالقَدَر ما أذاقهم الله بأسه.

الثاني: قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء:١٦٥)، ولو كان القَدَر حُجَّة للمخالفين لم تنتفِ بإرسال الرُّسل، لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

الثالث: ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَلاَ نَتَّكِلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: لاَ، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ (الليل:٥))[1]، فأمر النبي ﷺ بالعمل ونهى عن الاتكال على القدر.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: القدر، باب: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (الأحزاب: ٣٨)، حديث (٦٦٠٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، حديث (٢٦٤٧).

Scanned with CamScanner

الرابع: أن الله تعالى أمر العبد ونهاه، ولم يُكلّفه إلا ما يستطيع، قال الله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (التغابن: ١٦)، وقال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، ولو كان العبد مُجْبَراً على الفعل لكان مُكلَّفاً بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه، فلا إثم عليه لأنه معذور.

الخامس: أنَّ قَدَر الله تعالى سرٌّ مكتوم لا يُعلم به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله؛ فتكون إرادته الفعلَ غير مبنيةٍ على علم منه بقدر الله، وحينئذ تنتفي حجته بالقدر إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

السادس: أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه حتى يدركه ولا يعدل عنه إلى مالا يلائمه، ثم يحتجُّ على عدوله بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟ أفليس شأن الأمرين واحداً؟!

وإليك مثالا يوضح ذلك: لو كان أمام الإنسان طريقان:

أحدهما: ينتهي به إلى بلد كلها فوضى، قَتْلٌ، ونَهْبٌ، وانتهاك للأعراض وخوف، وجوع، والثاني: ينتهي به إلى بلد كلها نظامٌ، وأَمْنٌ مُسْتَتِبٌ، وعَيْشٌ رغيدٌ، واحترامٌ للنفوس والأعراض والأموال، فأي الطريقين يسلك؟؟ إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلى بلد النظام والأمن، ولا يمكن لأي عاقل أبداً أن

Scanned with CamScanner

يسلك طريق بلد الفوضى، والخوف، ويحتج بالقدر، فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون طريق الجنة ويحتج بالقدر؟

ومثال آخر: نرى المريض يؤمر بالدواء فيشربه ونفسه لا تشتهيه، وينهى عن الطعام الذي يضره فيتركه ونفسه تشتهيه، كل ذلك طلباً للشفاء والسلامة، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذي يضره ويحتج بالقَدر، فلماذا يترك الإنسان ما أَمَر الله به ورسوله، أو يفعل ما نهى الله عنه ورسوله ثم يحتجُّ بالقدر؟

السابع: أن المحتجَّ بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتج بالقدر، وقال: لا تَلُمْني فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حُجّتَه، فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتجّ به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟!

ويذكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «رُفِعَ إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده فقال: مهلا يا أمير المؤمنين، فإنما سرقت بقدر الله، فقال عمر رضي الله عنه: ونحن إنما نقطع بقدر الله».

***

مسائل في الإيمان بالقدر[1]

١- هل فعل الأسباب ينافي الإيمان بالقدر؟:

الجواب: فعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر، بل إن مباشرتها من تمام الإيمان بالقضاء والقدر.

---

(١) انظر: أعلام السنة المنشورة، الشيخ حافظ حكمي، (٧٩ ـ ٨١).

Scanned with CamScanner

ولهذا يجب على الإنسان – مع الإيمان بالقدر – الاجتهادُ في العمل، والأخذ بأسباب النجاة، والالتجاء إلى الله تعالى بأن ييسر له أسباب السعادة وأن يعينه عليها.

ونصوص الكتاب والسنة حافلة بالأمر باتخاذ الأسباب المشروعة في مختلف شؤون الحياة؛ فقد أمرتْ بالعمل، والسعي في طلب الرزق، واتخاذ العدد لمواجهة الأعداء، والتزود للأسفار، وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠). وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥).

وأمر ربنا سبحانه بالدعاء والاستعانة به وحده، فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠).

وأمر باتخاذ الأسباب الشرعية التي تؤدي إلى رضوانه، وجنته، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وغير ذلك.

وحياة الرسول ﷺ وأصحابه، والسائرين على نهجهم كلها شاهدة على أخذهم بالأسباب، والجدِّ والاجتهاد.

يقول ابن القيم رحمه الله: «الأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية»[1].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢١٦).

٢- ما معنى قول النبي ﷺ: (والخيرُ كلُّهُ في يديكَ، والشرُّ ليس إليكَ)(١)، مع أن الله سبحانه خالق كل شيء؟

الجواب: معنى ذلك أن أفعال الله ﷻ كلها خيرٌ محضٌ؛ من حيث اتصافه بها، وصدورها عنه، ليس فيها شرٌّ بوجهٍ؛ فإنه تعالى حَكَمٌ عَدْلٌ، وجميعُ أفعالهِ حكمةٌ وعدلٌ، يضع الأشياءَ مواضَعها اللائقة به، كما هي معلومة عنده ﷻ.

وما كان في نفس المقدور من شرٍّ، فمن جهة إضافتِه إلى العبد؛ لما يلحقه من المهالك، وذلك بما كسبت يداه جزاءا وفاقا، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠)، وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الزخرف: ٧٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (يونس: ٤٤).

٣- هل للعباد قدرة ومشيئة على أفعالهم المضافة إليهم؟

الجواب: نعم، للعباد قدرةٌ على أعمالهم، ولهم مشيئةٌ وإرادة، وأفعالهم تضاف إليهم حقيقةً، وبحسبها كُلِّفُوا، وعليها يثابون ويعاقبون، ولم يكلفْهم الله إلا وسعهم، وقد أثبت لهم ذلك في الكتاب والسنة ووصفهم به، ولكنهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه، ولا يشاءون إلا أن يشاء الله، ولا يفعلون إلا بجعله إياهم فاعلين، فكما لم يُوجِدُوا أنفسَهم لم يُوجِدُوا أفعالَهم، فقدرتُهم ومشيئتُهم وإرادتُهم وأفعالُهم تابعةٌ لقدرتِه ومشيئتِه وإرادتِه وفعلِه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث (٧٧١) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

Scanned with CamScanner

فهو سبحانه خالقُهم وخالقُ قدرتِهم وإرادتِهم ومشيئتِهم وأفعالِهم، وليس مشيئتُهم وإرادتُهم وقدرتُهم وأفعالُهم هي عينُ مشيئة الله، وإرادته، وقدرته، وأفعاله، كما ليس هم إياه سبحانه، تعالى الله عن ذلك، بل أفعالُهم المخلوقةُ لله قائمةٌ بهم، لائقةٌ بهم، مضافةٌ إليهم حقيقةً، وهي من آثارِ أفعالِ اللهِ القائمةِ به، اللائقةِ المضافةِ إليه حقيقةً، فاللهُ فاعلٌ حقيقةً، والعبدُ منفعلٌ حقيقةً، واللهُ هادٍ حقيقةً، والعبدُ مهتدٍ حقيقةً.

وهكذا جميع تصرفِ الله في عباده، فمن أضاف الفعلَ والانفعالَ إلى العبدِ كفر، ومن أضافه إلى اللهِ كفر، ومن أضافَ الفعلَ إلى الخالقِ، والانفعالَ إلى المخلوقِ كلاهما حقيقةً، فهو المؤمن حقيقةً.

٤- ما جواب من قال: أليس ممكنًا في قدرة الله أن يجعل كلَّ عبادِهِ مؤمنين مهتدين طائعين، مع محبته ذلك منهم شرعًا؟

الجواب: بلى، هو قادر على ذلك كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ ...الآية (النحل:٩٣)، وقال: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ (يونس:٩٩)، وغيرهما من الآيات، ولكنْ هذا الذي فَعَلَهُ بهم، هو مقتضى حكمتِهِ، وموجِبُ ربوبيتِهِ، وإلهيتِهِ، وأسمائِهِ وصفاتِهِ.

فقول القائل: لِمَ كان من عبادِهِ الطائعُ والعاصي كقول مَنْ قالَ: لم كان من أسمائه المعطي والمانع، والخافض الرافعُ، والمنعم والمنتقم، ونحو ذلك؛ إذ أفعالُهُ تعالى هي مقتضى أسمائِهِ وآثارِ صفاتِهِ، فالاعتراضُ عليه في أفعالِه اعتراضٌ عليه في أسمائِهِ وصفاتِهِ، بل وعلى إلهيتِهِ وربُوبيتِهِ: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٢ – ٢٣).

Scanned with CamScanner

لذا يجب أن نحتاط لهذه المسألة كثيراً ونلتزم منهج أهل السُنّة والجماعة في العلم بها، وعدم الخوض فيها، لاسيما وقد زلّتْ فيها أقدامٌ، وتنازعتْها أهواء.

وفي هذه الوحدة نبين أهم نواقض الإيمان ثم نوضح حُكْمَ تكفير المُعيّن وضوابطه.

* * *

نواقض الإيمان

معنى النواقض:

في اللغة: النقض في البناء والحبل والعهد وغيره، ضدُّ الإبرام، أي هو: الحلُّ، والإزالة والإبطال[1] ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ (النحل: ٩٢).

وفي الاصطلاح هي: «اعتقادات، أو أقوال، أو أفعال تزيل الإيمان وتقطعه»[2].

وسُمِّيَتْ نواقض لأن الإنسان إذا فعل واحداً منها انتقض إسلامُه ودينُه، ويدخل في هذه النواقض ما يخرج من الملّة؛ كالشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الأكبر.

وسنتعرض لأهم هذه النواقض مبينين الدليل على اعتبار هذا الأمر ضمن نواقض الإيمان[3].

(١) انظر: القاموس المحيط، مادة (ن ق ض)، والمفردات للراغب الأصفهاني (٨٢١).

(٢) نواقض الإيمان القولية والعملية، د. عبد العزيز العبد اللطيف (٤٩).

(٣) للتوسع في معرفة هذه النواقض ينظر فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الأولى، بداية المجلد الثاني.

Scanned with CamScanner

أولاً: الشرك بالله تعالى:

سواء كان شركا اعتقاديا باعتقاد أنَّ ما سِوى الله يستحق أن يُدعى أو يُذبح له، أو أن ما سواه له تصَرُّفٌ لا يقدر عليه إلا الله سبحانه؛ كالخلق أو الرزق أو النفع أو الضُّر، أو اعتقاد أن أحداً سوى الله له اطلاع على الغيب.

أو فعل شيئا من الشركيات بأن صرف جزء من عبادة الله لغيره[1]، كأن يُقدِّم لغير الله أنواع العبادات التي هي حق الله وحدَه؛ كالدعاء، والركوع، والسجود، والنَّذْر، والذَّبح.

يقول النبي ﷺ: (من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار)[2].

والشرك بالله من أعظم النواقض وأخطرها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١١٦).

ثانياً: السبُّ أو الاستهزاء بالله تعالى، أو رسله، أو كتبه، أو دينه:

والسبُّ: هو الكلام الذي يُقصد منه الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يُفهم من السبّ في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم، كاللعن والتقبيح ونحوه[3].

فالإيمان بالله تعالى مبنيٌّ على التعظيم والإجلال للربِّ سبحانه، ولا شكَّ أن سبَّ الله تعالى يناقض هذا التعظيم.

---

(١) انظر في التمثيل على ذلك فتاوى اللجنة الدائمة في موجبات الكفر ومنها الفتوى رقم الحديث (٢١٠١٩) المجموعة (٢) ص (١٤٧/١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القران، سورة البقرة، رقم الحديث (٤٤٩٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، رقم الحديث (٩٢).

(٣) انظر: المفردات، للأصفهاني (٧٩٠)، والمصباح المنير، للفيومي (٧٨٧).

Scanned with CamScanner

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من اعتقد الوحدانية في الألوهية لله سبحانه وتعالى، والرسالة لعبده ورسوله، ثم لم يُتْبِعْ هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام، الذي هو حال في القلب يظهر أثره على الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل – كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجباً لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلاً لما فيه من المنفعة والصلاح»[1].

والاستهزاء: هو السخرية، والمزح في خفية، والاستخفاف[2].

فكل ذلك داخل في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (التوبة: ٦٥ – ٦٦). قال ابن تيمية رحمه الله: «وهذا نصٌّ في أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر»[3].

ومن ذلك أيضا: الاستهانة بالمصحف، وتلويثه بالنجاسات أو دَوْسه بالأقدام.

ثالثاً: النفاق الاعتقادي (وهو النفاق الأكبر):

وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (النساء: ١٤٥).

---

(١) الصارم المسلول (٧٣/٥).

(٢) المصدر السابق (٧٣/٥)، وانظر فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة (١) ص(٣٨٧/١) فتوى رقم (٤٤٤٠).

(٣) المصدر السابق (٢٩/٣).

Scanned with CamScanner

وهو أنواع من أهمها:

أ) تكذيب الرسول ﷺ أو بعض ما جاء به.

ب) بُغض الرسول ﷺ أو بغض ما جاء به.

ج) المسرَّة بضعف الإسلام أو الكراهية لانتصاره.

رابعاً: السِّحْر:

وهو في الشرع: «عزائم ورُقى وعُقَد تؤثر في الأبدان والقلوب، فيمرض ويقتل ويفرِّق بين المرء وزوجه»[1].

وهو شركٌ يكفر فاعله؛ لأن فيه استعانةً بالشياطين بطاعتهم والتقرب إليهم بفعل الكفر، وذلك لتسليطهم على المسحور.

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ (البقرة: ١٠٢).

خامساً: ادعاء علم الغيب:

كالتنجيم والكهانة والعَرَافة ومن يجعل تعلُّم عِلْم النجوم «سبباً يدّعي به علم الغيب، فيستدل بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكون كذا وكذا؛ لأن النَّجم الفلاني صار كذا وكذا، مثل أن يقول: هذا الإنسان ستكون حياته شقاءً؛

(١) كشاف القناع، للبهوتي (٦/١٦٧).

Scanned with CamScanner

لأنه ولد في النجم الفلاني، وهذا حياته ستكون سعيدة؛ لأنه ولد في النجم الفلاني.

فهذا اتخذ تعلُّم النجوم وسيلة لادعاء علم الغيب، ودعوى علم الغيب كُفْرٌ مُخْرِجٌ عن الملّة، قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (النمل:٦٥)، وهذا من أقوى أنواع الحصر؛ لأنه بالنفي والإثبات، فإذا ادّعى أحد علم الغيب فقد كذّب بالقرآن»[1].

فمن سأل المُنجِّم أو الكاهن وصدّقه كفَرَ بالله تعالى؛ قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَتَى عَرّافاً أَوْ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ)[2]، وإنْ لم يصدِّقه فكما قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)[3].

سادساً: إنكار معلوم من الدين بالضرورة، أو استحلال أمر معلوم من الدين بالضرورة تحريمه، وكذا تحريم ما عُلم من الدين إباحته:

مثال المعلوم من الدين بالضرورة: إنكار الكتب المنزلة على الأنبياء، أو إنكار الملائكة، أو إنكار الجن، أو إنكار البعث، أو إنكار الوعد والوعيد، أو غير ذلك مما هو معلوم لا يخفى.

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ محمد العثيمين (٥/٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الطب، باب: في الكهان، حديث (٣٩٠٤)، والترمذي في سننه، كتاب: الطهارة، باب: ما جاء في كراهية إتيان الحائض، حديث (١٣٥). عن أبي هريرة، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان، حديث (٢٢٣٠). عن صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ.

Scanned with CamScanner

قال الإمام ابن قدامة رحمه الله: «من اعتقد حِلَّ شيءٍ أُجمع على تحريمه، وظهر حُكْمَه بين المسلمين، وزالت الشُّبهة فيه للنصوص الواردة فيه كلحم الخنزير، والزنا، وأشباه هذا مما لا خلاف فيه كفر»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والإنسان متى حلل الحرام - المجمع عليه - أو حرم الحلال - المجمع عليه - أو بدل الشرع - المجمع عليه - كان كافرًا مرتدًّا باتفاق الفقهاء»(٢).

سابعاً: الشك في حُكْمٍ من أحكام الله عز وجل أو في خبر من أخباره(٣):

كمن يشك في بعض أحكام الدين القطعية أو الأخبار الثابتة في القران أو السنة مع علمه بذلك وإقامة الحجة عليه.

ومثال ذلك: من يشك في حُرْمَةِ الزنا أو الرِّبا أو الميسر ونحوها مما ورد النص عليه.

أو يشك في الأخبار المذكورة في القران كقصة موسى أو عيسى عليهما السلام، أو يأجوج ومأجوج ونحوها.

ثامناً: من لم يُكفِّر المشركين أو شكّ في كفرهم، أو صحّح مذهبهم:

فإن الله أرسل النبيَّ صلى الله عليه وسلم بالإسلام، وجعله ناسخاً لما قبله من الأديان، وأخبر أنه لا يقبل من أحد ديناً سواه، فكل من دان بغير دين الإسلام؛ فهو كافر، قال

---

(١) المغني (١٣١/٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٦٧/٣).

(٣) ينظر فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة (١) ص (٨/٢) وما بعدها.

Scanned with CamScanner

تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: ١٩)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥).

تاسعاً: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين وهو مختارٌ غير مكرهٍ، مع محبة ما هم عليه من الكفر والشرك والضلال، فهذا لا شكَّ أنه كفرٌ أكبر مخرج من الملة.

قال الشيخ صالح الفوزان: «مظاهرة الكفار ومعاونتهم على المسلمين، مع محبة ما هم عليه من الكفر والشرك والضلال، فهذا القسم لا شكَّ أنه كفر أكبر مخرج من الملة، فمَنْ ظاهرهم وأعانهم وساعدهم على المسلمين مع محبة دينهم وما هم عليه والرضا عنهم وهو مختار غير مكره فإنه يكون كفرًا أكبر مخرج من الملة على ظاهر قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (المائدة: ٥١)، ... وأما من يعين الكفار على المسلمين وهو مختار غير مكره مع بغضه لدين الكفار وعدم الرضا عنه؛ فهذا لا شكَّ أنه فاعل لكبيرة من كبائر الذنوب ويخشى عليه من الكفر»[١].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: في بيان معنى الموالاة وضابطها: «موالاة الكفار التي يكفر بها من والاهم هي: محبتُهم، ونصرتُهم على المسلمين، لا مجرد التعامل معهم بالعدل، ولا مخالطتهم لدعوتهم للإسلام، ولا غشيان مجالسهم والسفر إليهم للبلاغ ونشر الإسلام»[٢].

---

(١) نواقض الإسلام، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، بشرح الشيخ صالح الفوزان (١٥٩، ١٦٠).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/٤٧)، الفتوى رقم (٦٩٠١).

Scanned with CamScanner

عاشراً: الإعراضُ عن دينِ الله لا يتعلمه ولا يعملُ به:

فالإيمان لمّا كان خضوعاً واستجابةً وقبولاً لدين الله، عُدَّ الإعراض الكلي عن هذه الأمور ناقضاً للإيمان ومفسداً له، وهذا الإعراض عن دين الله - لا يتعلمه ولا يعمل به - هو تَوَلٍّ عن طاعة الرسول ﷺ، وامتناعٌ عن اتباعه، وصدودٌ عن قبول الشريعة بالكلية؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ (السجدة: ٢٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «قد تبيّن أن الدين لابدَّ فيه من قول وعمل، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله بقلبه، أو بقلبه ولسانه، ولم يُؤدِّ واجباً ظاهراً، ولا صلاةً، ولا زكاةً، ولا صياماً، ولا غير ذلك من الواجبات»[١].

وقال ابن القيم رحمه الله: «كُفْر الإعراض: أن يُعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ لا يصدّقه ولا يكذّبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتة»[٢].

(١) مجموع الفتاوى (٧/٦٢١).

(٢) مدارج السالكين (١/٣٣٨).

Scanned with CamScanner